البنيوية: المنهج والمصطلح

أغلانا سيدي محمد بلّه
طالبة دكتوراه: مكونة اللغة العربية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة نواكشوط

مقدمة:

لقد شهد القرن التاسع عشر مناهج كثيرة، تعاين النص الأدبي وتسبر أغواره بغية الكشف عن جوهره؛ واختلفت هذه المناهج في طريقة تناولها النص حيث ربطه بعضها بمؤثرات خارجية كالسيرة الذاتية للمؤلف، والتطور التاريخي، والحالة النفسية للمبدع، وتأثيرات الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها صاحب الأثر.

ومع بداية القرن العشرين ظهرت بوادر منهج حديث يعزل النص الأدبي عن كل المؤثرات الخارجية، ويدرسه من الداخل أطلق عليه:"المنهج البنيوي"، الذي أرسى دعائمه الأولى"دي سوسير" كمنهج يدرس اللغة، ثم ما لبث أن أصبح منهجا علميا له قواعده وأصوله؛ فنقله النقاد واستثمروا مبادئه في دارسة الأدب باعتباره منهجا نقديا يعنى بدارسة النصوص الأدبية من داخلها قصد تحديد بنيات الأثري الأدبي، وإبراز قواعده وأبنيته الشكلية والخطابية.

وسنسلط الضوء في هذا المقال على المنهج البنيوي، وذلك انطلاقا من المحاور التالية:

المحور الأول: في ماهية المصطلح

أ. البنية لغة واصطلاحا.

ب. المنهج لغة واصطلاحا.

ج. آراء بعض البنيويين حول مفهوم البنية.

المحور الثاني: البنيوية: نشأتها وروافدها.

المحور الثالث: منطلقات التحليل البنيوي ومستوياته.

المحور الرابع: البنيوية الوصفية في السياق الغربي وتأثيرها في النقد العربي الحديث.

المحور الخامس: البنيوية التكوينية في السياق الغربي وتأثيرها في النقد العربي الحديث.

المحور السادس: البعد النقدي للمنهج البنيوي.

خاتمة.

المحور الأول: في ماهية المصطلح

أ- البنيـــة لغـــة: تشـتق كلمـة بنيـة مـن الفعـل الثلاثـي: بنـى وتعنـي البنـاء والتشـييد والعمـارة والكيفية التي يكون عليها البناء أو الكيفية التي شيد عليها[1]

واصـــطلاحا: يقـدم"جانبياجي" تعريفـا للبنيـة "باعتبارهـا نسـقا مـن التحـولات يحتـوي علـى قوانينـه الخاصـة علمـا بـأن مـن شـأن هـذا النسـق أن يظـل قائمـا ويـزداد ثـراءا بفضـل الـدور الـذي تقـوم بـه هـذه التحـولات نفسـها دون أن يكـون مـن شـأن التحـولات أن تخـرج عـن حـدود ذلـك النسـق، أو أن تستعين بعناصر خارجية"[2]

ب- المـــنهج لغـــة: الـنهج والمـنهج والمنهـاج: الطريـق الواضـح، ونهـج الطريـق أبانـه وأوضحه، ونهجه أيضا سلكه[3]

واصـــطلاحا: يقصـد عـادة بـالمنهج: سلسـلة مـن العمليـات المبرمجـة، والتـي تهـدف إلـى الحصول على نتيجة مطابقة لمقتضيات النظرية[4]

ج-آراء بعـض البنيـويين حـول مفهـوم البنيـة: اختلـف تعريـف البنيـة بـاختلاف الاتجاهـات البنيويـة ومنـاهج دراسـتها. وهـي بـاعتراف **إيميـل بينيبسـت:** "نظـام يعمـل علـى ضـوء قـوانين، وهذا النظام يقوم ويتطور بناءا على وظيفة هذه القوانين الداخلية دون الرجوع إلى عناصر خارجية"[5]

ويـذهب **هلمســليف** إلـى أن: "البنيـة كيـان مسـتقل مـن العلاقـات بينهـا تبعيـة وخضـوع داخليـين، وتعتبـر كـلا لا يتجـزأ؛ فهـي تشـكل وحـدة ومسـتقلة بـين عناصـرها المكونـة لهـا، ولهـا قوانينها الخاصة، ولا يمكن إطلاقا وجود عنصر من البنية قبل وجود الكل"[6].

أمـا **اكلـود لفـي سـتراوس** فيعتبـر "أن لفـظ البنيويـة جـاء مـن البنيـة وهـي التـي تعنـي الكيفيـة التـي شـيد عليهـا بنـاء مـا[...] وهـي توجـه اهـتم أساسـا بدراسـة العلاقـات التـي تنـتظم عناصـر كل بنية، كما اهتم بكشف الارتباطات القائمة بين البنيات المختلفة"[7]

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، م.9، دار صادر للطباعة والنشر، ط1، بيروت، (د ت)، ص: 32.

[2]- جان ابياجي، البنيوية، (ترجمة: عارف منيمنه وبشير أوبري)، منشورات اعويدات، ط4، بيروت، 1985، ص: 8.

[3]- محمد محيي الدين عبد الحميد ومحمد عبد اللطيف السبكي، المختار من صحاح اللغة، مطبعة الاستقامة، ط5، القاهرة، 1934، ص: 440.

[4]- د. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت 1985، ص: 224.

[5]- إيميل بينيست، البنية في اللسانيات، (ترجمة حنون مبارك)، مجلة دراسات أدبية وإنسانية (ع. غ)، المغرب 1986، ص:131.

[6]- عبد السلام لمسدي، قضية البنيوية: دراسة ونماذج، دار أمية، ط1، تونس، 1996، ص: 82.

[7]- محمد الحناش، البنيوية في اللسانيات، دار الرسالة الحديثة، ط1، المغرب 1980، ص: 8.

والبنيوية طريقة للتفكير تسربت إلى كافة المعارف والعلوم الإنسانية حتى أصبحت توجها لم يسلم المفكرون والنقاد من فتنته، فظهرت كمنهج نقدي يتوخى الصرامة العلمية في دراسة النص الأدبي.

ويعكف المنهج البنيوي على دراسة النص بوصفه بنية مغلقة مكتفية بذاتها. ويحدد **جان ابياجي** "خصائص للبنية تتمثل في:

1- الكلية أو الشمولية: وتعني التماسك الداخلي بحيث يكون انتظام الكيانات كاملا بنفسه، وليس تجميعا لما يمكن أن تكون عناصره مستقلة بدونه.
2- التحويلات: وتعني سلسلة من التغيرات الباطنية التي تحدث داخل النسق، وتكون في الوقت نفسه خاضعة لقوانين البنية الداخلية"[1]
3- التنظيم الذاتي: ويعني أن البنية لها القدرة على تنظيم نفسها بنفسها بما يحفظ لها وحدتها، ويحقق لها شكلا من الانغلاق الذاتي، فالتحويلات اللازمة لبنية معينة لا تؤدي إلى خارج حدودها، ولكنها تولد عناصر تنتمي دائما إلى البنية وتحافظ على قوانينها[2]

المحور الثاني: البنيوية نشأتها وروافدها

أ- **نشأتها:** ظهرت البنيوية اللسانية في منتصف العقد الثاني من القرن العشرين مع رائدها **فرديناند دي سوسير** من خلال كتابه "محاضرات في اللسانيات العامة" الذي نشر في باريس سنة 1916.

وكان الهدف من الدرس اللساني هو التعامل مع النص الأدبي من الداخل، وتجاوز الخارج المرجعي واعتباره نسقا لغويا في سكونه وثباته.

وقد حقق هذا المنهج نجاحا كبيرا في الساحتين: اللسانية والأدبية، حيث انكب عليه الدارسون للتسلح به، واستعماله منهجا وتصورا في التعامل مع الظواهر الأدبية والنصية واللغوية. فأصبح المنهج البنيوي أقرب المناهج إلى الأدب؛ لأنه يجمع بين الإبداع وخاصيته الأولى التي هي اللغة، أي يقيس الأدب بآليات اللسانيات قصد تحديد بنيات الأثر الأدبي وإبراز قواعده وأبنيته الشكلية والخطابية.

---

[1]- جان ابياجي، البنيوية، مرجع سابق، ص: 11.

[2]- المرجع نفسه، ص: 13.

واكتشاف مفهوم البنية في علم اللغة دفع **بارت**و**تودوروف** وغيرهما إلى الكشف عن عناصر النظام في الأدب.

ب- أما الروافد التاريخية للبنيوية؛ فهي مدرسة الشكليين الروس التي ظهرت في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين، وما سمي "بمدرسة النقد الجديد في أمريكا".

فمدرسة الشكلانيين الروس دعت إلى ضرورة التركيز على العلاقات الداخلية للنص، وقالت بأن موضوع الدراسة ينبغي أن ينحصر في ما أسماه **جاكبسون** "أدبية الأدب"، وتتكون الأدبية بشكل عام من الأساليب والأدوات التي تميز الأدب عن غيره[1]

يقول **جاكبسون** –وهو أنشط أعضاء حلقة موسكو اللغوية والتي أسست المنهج الشكلاني–:"إن هدف علم الأدب ليس هو الأدب في عموميته وإنما أدبيته أي تلك العناصر المحددة التي تجعل منه عملا أدبيا"[2]

وإذا كانت البنيوية قد انبثقت من رحم قواعد الشكلانيين الروس، فإن هناك فرقا بين المنهج الشكلي والمنهج البنيوي؛ لأن المنهج الشكلي يفصل تماما بين جانبي: الشكل والمضمون، فلا يعدو أن يكون بقايا خالية من القيمة الدالة. ولكن البنيوية ترفض هذه الثنائية، فليس ثمة جانب تجريدي واحد محدد، واقعي، حيث الشكل والمضمون لهما نفس الطبيعة ويستحقان نفس العناية في التحليل. فالمضمون يكتسب واقعه من البنية، وما يسمى بالشكل ليس سوى تشكيل هذه البنية من أبنية موضعية أخرى تشمل المضمون نفسه.

ونتيجة لهذا التصور فإن البنية لا تبتر الواقع، وإنما هي على العكس من ذلك تتيح الفرصة لإدراكه بجميع مظاهره.

المحور الثالث: منطلقات التحليل البنيوي ومستوياته:

أ- **المنطلقات:** هناك منطلقات[3] عامة وأساسية يطرحها التحليل البنيوي وذلك على الصعيد الأدبي والنقدي، وتتمثل فيما يلي:

1- يهاجم البنيويون بعنف المناهج التي تعنى بدراسة إطار الأدب ومحيطه وأسبابه الخارجية، لأنها لا تصف الأثر الأدبي بالذات حين تلح على وصف العوامل الخارجية. لذلك ينطلق البنيويون من ضرورة التركيز على الجوهر

---

[1]– د. شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، لبنان–بيروت 1986، ص: 188.

[2]– المرجع نفسه، ص: 189.

[3]– في نظرية الأدب، مرجع سابق، الصفحات: 182، 183، 184، 185، 187.

الـداخلي للـنص الأدبـي دون الاعتمـاد علـى أيـة افتراضـات سـابقة، كعلاقتـه بـالواقع الاجتمـاعي، أو بالأديـب وأحوالـه النفسـية والاجتماعيـة؛ لأن العمـل الأدبـي–كمـا يـرى البنيويـون–لـه وجـود خـاص ولـه منطقـه ونظامـه أي لـه بنيـة مستقلة وهـذه البنيـة تشـكل مجموعـة مـن العلاقـات الدقيقـة التـي تؤلـف فيمـا بينهـا شبكة من العلاقات.

2- البنيـة العميقـة أو شـبكة العلاقـات المعقـدة: هـي التـي تجعـل مـن العمـل الأدبـي عملا أدبيا، وهنا تكمن أدبية الأدب.

3- يقـف التحليـل الأدبـي عنـد حـدود اكتشـاف البنيـة فـي الـنص الأدبـي أو حـدود اكتشاف نظام النص كما يسميه بعض البنيويون.

ويـرى **بـارت** و**تـودوروف** –وهمـا مـن أبـرز رواد النقـد البنيـوي–أن هـذا التعـرف علـى بنيـة الـنص مقصـود بذاتـه؛ لأن عقلانيـة النظـام الـذي يـتحكم فـي عناصـر الـنص غـدت بـديلا عـن عقلانية الشرح والتفسير[1]

4- ينطلـق البنيويـون مـن مسـلمة تقـول إن الأدب مسـتقل تمامـا عـن أي شـيء، إذ لا علاقتـه بالحيـاة أو المجتمـع أو الأفكـار أو نفسـية الأديـب، لأن الأدب "لا يقول شيئا عن المجتمع" أما موضوع الأدب فهو الأدب نفسه.

5- لا يعتـرف البنيويـون بالبعـد الـذاتي أو الاجتمـاعي لـلأدب، لأنهـم يعرفـون الأدب أنـه كيـان لغـوي مستقل، أو جسـد لغـوي أو نظـام مـن الرمـوز والـدلالات التـي تولـد في النص وتعيش فيه ولا صلة لها بخارج النص.

و**رولانبـارت** يعـرف القصـة بكونهـا "مجموعـة مـن الجمـل" بـل إن الكـلام الأدبـي ككـل كـلام واقع ألسني أي مجموعة من الجمل لها وحداتها المميزة وقواعدها ونحوها ودلالتها.

6- للتوصـل إلـى بنيـة الأثـر الأدبـي: ينبغـي تخلـيص الـنص مـن الموضـوع، والأفكـار والمعـاني، والبعـدين: الـذاتي والاجتمـاعي. وبعـد عمليـة التخلـيص يـتم التحليل البنيوي من خلال دراسة المستويات: النحوية، والإيقاعية والأسلوبية.

7- يـتم التركيـز لاكتشـاف بنيـة الـنص: علـى إظهـار التشـابه، والتنـاظر، والتعـارض، والتضـاد، والتـوازي، والتجـاور، والتفاعـل بـين المسـتويات: النحويـة والإيقاعيـة والأسلوبية والحكائية.

---

[1]– نذكر هنا أن الشرح: هو دراسة علاقات النص، والتفسير: هو ربط النص بواقعه الاجتماعي والتاريخي.

ب- **مستويات التحليل البنيوي:** يقسم النقاد هذه المستويات على النحو التالي:

1- المستوى الصوتي: حيث تدرس فيه الحروف ورمزيتها وتكويناتها الموسيقية من: نبر وتنغيم وإيقاع، ويتم معرفته من خلال الصوتيات.

2- المستوى الصرفي: وتدرس فيه الوحدات الصرفية ووظيفتها في التكوين اللغوي والأدبي خاصة، وهذا المستوى يحتاج إلى كل ما يبنى عليه علم الصرف.

3- المستوى المعجمي: وتدرس فيه الكلمات لمعرفة خصائصها الحسية والتجريدية والحيوية، والمستوى الأسلوبي لها؛ بمعنى أنه يبحث في دلالة الكلمات اللغوية.

4- المستوى النحوي: ويدرس فيه التأليف وتركيب الجمل، وطرق تكوينها وخصائصها الدلالية، والجمالية؛ بمعنى أنه يبحث في بناء الجملة سواء أكانت فعلية، أو اسمية، أو شبه جملة.

5- مستوى القول: وذلك لتحليل تراكيب الجمل الكبرى؛ لمعرفة خصائصها الأساسية والثانوية.

6- المستوى الدلالي: ويشتغل بتحليل المعاني المباشرة، وغير المباشرة، والصورة المتصلة بالأنظمة الخارجة عن حدود اللغة؛ والتي ترتبط بعلوم النفس والاجتماع، وتمارس وظيفتها على درجات في الأدب والشعر.

7- المستوى الرمزي: وتقوم فيه المستويات السابقة بدور الدال الجديد؛ الذي ينتج مدلولا أدبيا جديدا يقود بدوره إلى المعنى الثاني أو ما يسمى: (باللغة داخل اللغة).

وإذا ما نظرنا إلى هذه المستويات نجدها كلها تتصل باللغة، فهي تنطلق من اللغة وتطبق عليها. واللغة كما نعرف لا تحتمل الاتساع كما في مناهج النقد الأخرى، ومن هنا تتبع عملية هذا المنهج وتعامله الدقيق مع النصوص الأدبية.

والمحلل البنيوي يقوم بدراسة جميع هذه المستويات في نفسها وعلاقتها المتبادلة، واتفاقاتها، والتداعي الحي فيما بينها، والأنشطة المتمثلة فيها وهو ما يحدد في نهاية الأمر البنية الأدبية المتكاملة.

المحور الرابع: البنيوية الوصفية (الشكلية) في السياق الغربي وتأثيرها في النقد العربي الحديث

أ- **البنيوية الوصفية في السياق الغربي:** لقد تصدت البنيوية الوصفية لتحليل النصوص أكثر من تصديها لبناء نظرية منسجمة. وسعت البنيوية منذ نشأتها إلى التعارض

الواضح مع النزعة التاريخية على وجه الخصوص[1]. وإلى الدعوة إلى التركيز على مفهوم النسق وإحلاله محل مفهوم التطور، الذي أصبح باليا عتيقا بحسب وجهة نظرهم.

وقد سبب الدفاع المستميت الذي أعلنته البنيوية منذ نشأتها إلى تراجع النزعة الإنسانية لدى روادها مما أدى بها إلى التحول إلى ما أطلق عليه **روجي كارودي** (فلسفة موت الإنسان أو الفلسفة بلا ذات).

مع البنيوية أصبحت فكرة الإنسان ذاتها غير مجدية على حد تعبير **ميشيل فوكو** الذي يرى أن أثقل ميراث تحدد إلينا منذ القرن التاسع عشر –وهو ميراث آن لنا التخلص منه– هو النزعة الإنسانية[2]

ودعا **بارت** في نص له تحت عنوان (موت المؤلف) إلى إهمال الذات المبدعة وعزلها تماما عن الدراسة وعن الموضوع المدروس[3]

وقد حققت البنيوية رضى واسعا في الساحة الفرنسية بفضل المجهودات الخلاقة التي طبعت أعمال روادها الكبار.

كانت المقاربات النقدية تتناول العمل الأدبي إما من زاوية ارتباطه بالمؤلف كما هو الحال بالنسبة للمنهج نفسه، أو ارتباطه بالواقع الاجتماعي والصراع القائم في ذلك الواقع كالمنهج الاجتماعي، أو بإحدى الزوايا الأخرى التي تعد خارجة عن نطاق نص الأدب، ومتجاوزة لحدوده؛ فجاء المنهج البنيوي ليعيد الاعتبار إلى خصوصية العمل الأدبي وللتأكيد على ضرورة الالتفاتات إلى المكونات الضرورية لنص الإبداع قصد محاولة استجلاء الجديد بالفعل وإعادة النظر في كل المسلمات، وبالتالي كان له دور فعال في فتح المجال أمام التساؤلات اللامتناهية المتعلقة بالعمل الأدبي؛ ولكل الإشكالات التي يطرحها باعتباره فعالية متعددة المستويات.

لقد وجهت البنيوية الوصفية اهتمامها الأساسي نحو اللغة التي تنشئ البنى الاجتماعية؛ وأكدت في نظرياتها وتطبيقاتها أن اللغة هدف أسمى وتسعى إليه بتناول الأدب وهو ما سيوصل إلى تقاطع حتمي مع الدراسات الألسنية التي تغلب دراسة اللغة في وضعها الآني على دراستها في وضعها التاريخي، وهي الفكرة الرئيسة التي تلح عليها البنيوية.

---

[1]– روجي كارودي، البنيوية: فلسفة موت الإنسان، (د.ت)، (بقية المعلومات غير موجودة)، ص: 13.

[2]– المرجع نفسه والصفحة ذاتها.

[3]– الجذور الفلسفية للبنائية، كتاب متهالك (د.ت)، ص: 13.

وتجدر الإشارة أن فرعا من فروع البنيوية اختص باسم البنيوية الوصفية (الشكلية) وهو ما يعني أن اللسانيات والبنيوية توثقت الصلة بينهما إلى حد التداخل، والاحتواء لتشكل منهجا تحليليا جديدا يكاد يكون مستقلا.

ب- **تأثير البنيوية الوصفية (الشكلية) في النقد العربي الحديث:** لقد أثرت البنيوية الوصفية الغربية تأثيرا واضحا في كتابات النقاد العرب.

- ويعد كتاب "الأسلوبية والأسلوب" لعبد السلام المسدي الصادر 1977 أول الدراسات العربية التي التزمت المنهج البنيوي.

وقد علق **صلاح فضل** على كتاب المسدي وجهوده في مجال الدراسات الأدبية في كتابه"النظرية البنائية في النقد الأدبي" قائلا:"أولها الدراسة الشيقة التي قدمها [...] مضاف إليها مجموعة بحوثه عن تفاعلات الأبنية اللغوية، والمكونات الشخصانية في شعر المتنبي وعرضه لكتاب"ريفاتير""مقالات في علم الأسلوب الهيغلي"، ودراساته عن الجاحظ وطه حسين. وأهم ما يقدم لمسدي هو محاولة إقامة الجسر بين الفكر اللغوي الحديث من جانب، والتراث العربي من جانب آخر[...] على أنها ليست بديلا ألسنيا عن النقد بقدر ما هي إضافة علمية إلى مناهجه، وتسييس رشيد لبعض طرائقه"[1]

- كما يعد كتاب **صلاح فضل** "نظرية البنائية في النقد الأدبي" الصادر 1978 من أشمل الكتب التي ظهرت في المجال البنيوي في اللغة العربية، وقد تناول في هذا الكتاب: مدرسة جينيف، الشكلانيين الروس، حلقة أبراغ اللغوية، علم اللغة الحديث، ما هي البنية والبنائية؟ تطبيقاتها في العلوم الإنسانية، البنية والتاريخ، البنائية في الأدب إلى غير ذلك من المواضيع.

ويتحدث صلاح فضل عن ندرة البنائية في اللغة العربية، ويقترح اسم بنائية بدل البنيوية لأنها في نظره أكثر سلامة وأخف وقعا على الأذن.

- ويعتبر كتاب **زكرياء إبراهيم** "مشكلة البنية" الصادر عام 1978 من أهم الدراسات التي تبنت البنيوية الوصفية. وقد قسمه إلى فصول من بينها: ما هي البنية؟ البنية في ميدان اللسانيات، بعد أن صدره بحديث عن المنهج البنيوي في مجال المعرفة الحديثة وبروز هذا المنهج فجأة وطغيانه على المناهج الأخرى.

[1]– د. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط3، بغداد 1987، ص: 8.

المحور الخامس: البنيوية التكوينية (التوليدية) في السياق الغربي وتأثيرها في النقد العربي الحديث

أ- **البنيويـــة التكوينيـــة فـــي الســـياق الغربـــي:** لعـل المزالـق والمخـاطر التـي وقعـت فيهـا البنيويـة الوصـفية هـي التـي دفعـت **لوسـيانغولدمان** إلـى وضـع مـنهج جديـد فـي تنـاول الأعمال الأدبية أطلق عليه البنيوية التكوينية.

ويهـاجم غولـدمان –وهـو مـن البنيـويين الجـدد–البنيويـة الوصـفية ويـرى أنهـا حـين تلغـي البعـد الـذاتي فإنهـا تلغـي التـاريخ والإنسـان، وحـين تتجاهـل الوظيفـة فإنهـا تـدمر الدلالـة "فالبنيويـة التكوينيـة تسـعى إلـى إعـادة الاعتبـار للعمـل الأدبـي والفكـري فـي خصوصـيته بـدون أن تفصله عن علائقه بالمجتمع والتاريخ ...[1]

ويؤكـد غولـدمان علـى العلاقـة الجدليـة والمعقـدة بـين الـذات الإنسـانية والعمـل الإبـداعي، مـع إقراره أن الفئة أو الطبقة الاجتماعية هي الخالق والحامل في آن واحد للرؤية وللعالم.

ومـن الجـدير بالملاحظـة أن البنيويـة والتكوينيـة قـد اعتمـدت علـى أربـع مرتكـزات: (الرؤيـة للعالم، الفهم والتفسير، الوعي الفعلي والوعي الممكن، البنية الدالة).

ويفـرق غولـدمان بـين عنصـرين فـي الـدرس الأدبـي همـا: الفهـم والتفسـير، فـالفهم يتعلـق بالتماسك الباطني للنص، وهو يفترض أن نتناول النص حرفيا وأن نبحث داخله عن بنية ذات دلالة.

أمـا التفسـير فمسـألة تتعلـق بالبحـث فـي الـذات الفرديـة أو الجماليـة، ويتعلـق الأمـر دائمـا بخصـوص النتـاج الثقـافي بـذات جماعيـة تمتلـك البنيـة الذهنيـة المنتظمـة للنتـاج الأدبـي، بالنسـبة إليهـا طابعا وظيفيا[2]

فـالفهم عمليـة تقتصـر علـى الـنص الأدبـي معـزولا عـن المؤشـرات الخارجيـة التـي لا شـك أنهـا تلعب دورا تأثيريا وتساعد على الكشف عن بنائه الداخلي.

أمـا التفسـير فعمليـة ثانيـة تنظـر إلـى العمـل الأدبـي بمسـتوى آخـر خـارجي إنهـا بعبـارة أخـرى تربطه ببنية أوسع وأشمل[3]

ب- **تـأثير البنيويـة التكوينيـة فـي النقـد العربـي الحـديث:** لقد تـأثر النقـاد العـرب بالبنيويـة التكوينية ويتبين ذلك من خلال النماذج التالية:

---

[1]– لوسيانغولدمان، البنيوية التكوينية (ترجمة: محمد براده)، ط1، المغرب 1984، ص: 5.

[2]– البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، المرجع نفسه، ص: 239.

[3]– البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، مرجع سابق، ص: 239.

- تبنـي **سـعيد علـوش** فـي كتابـه: "الروايـة الأيدلوجيـة فـي المغـرب العربـي"، البنيويـة التكوينيـة بشـكل مباشـر حيـث يقـول: أمـا بالنسـبة لمنهجنـا لقـد وقـع اختيارنـا علـى البنيـة التكوينية كمنهج يلعب "لوكاتش" و"غولولدمان دورا هاما فيه.
- واعتمـد **حميـداني حميـد** فـي كتابـه " الروايـة المغربيـة ورؤيـة الواقـع الاجتمـاعي" علـى المـنهج البنيـوي التكـويني، وأشـار أن الدراسـة تسـير دائمـا فـي إطـارين أساسـيين: بعـد التحليـل: يسـتهدف الكشـف عـن البنيويـة الفنيـة ومـا تعبـر عنـه مـن بنـى مضـمونية[...] ويسـتهدف أيضـا وضـع الـنص ضـمن بنيـة أوسـع هـي التـي تفسـر طبيعـة الرؤيـة الجماعيـة التـي يتضـمنها العمـل الإبـداعي. ويتضـح مـن هـذين البعـدين أنهمـا يسـتفيدان من مفهومي الفهم والتفسير عند "غولولدمان".
- ومـن أهـم الدراسـات التـي تبنـت المـنهج البنيـوي التكـويني كتـاب **إدريـس بلملـيح** "الرؤيـة البيانيـة عـن الجـاحظ" وهنـا يسـتعرض الكاتـب أهـم النتـائج التـي توصـل إليهـا فـي خاتمـة بحثـه وأبرزهـا اسـتخدامه لمفهـوم: رؤيـة العـالم باعتبارهـا رؤيـة دالـة ثـم فهـم هـذه البنيـة فـي ضـوء فلسـفة المعتزلـة أي دمجهـا فـي بنيـة أشـمل وأوسـع هـي الاتجـاه العقـدي العـام الـذي آمـن بـه الجاحظوشـكل حجـر الزاويـة فـي فكـره وإبداعـه، ثـم تفسـيره الاتجـاه العقـدي فـي ضوء شبكة العلاقات الاقتصادية، والاجتماعية التي عاش بين ظهرانيها.[1]

المحور السادس: البعد النقدي للمنهج البنيوي

علـى الصـعيد النقـدي تهـدف البنيويـة إلـى اكتشـاف نظـام الـنص أي بنيتـه الأساسـية، ومـن ثـم تـرفض أن يتجـه النقـد إلـى الكشـف عـن الوظيفـة الاجتماعيـة للـنص أو مـا يتصـل بالجوانـب الإبداعية للكاتب.

وهـذا يعنـي أن وظيفـة النقـد البنيـوي تنحصـر –علـى مـا يبـدو–فـي قضـية التـذوق والفهـم؛ وتبـدو البنيويـة عـاجزة عـن أداء هـذه المهمـة لسـبب بسـيط هـو أنهـا تـرفض التعليـل وتعـده شـركا. ومـن الطبيعـي أن لا ينـتج أي نـوع مـن الفهـم بـدون تعليـل لأي ظـاهرة أدبيـة أو غيـر أدبيـة. فينـتج عـن ذلـك أن هـذا المـنهج لا يسـمح لنـا باسـتنباط مبـادئ نقديـة نسـتطيع أن نقـيس بها أعمالا أخرى؛ لأنه منهج صوري وصفي لا يهتم بالقيمة.

فالبنيويـة خرجـت بـالنص عـن إطـار المطلـق الفضـفاض إلـى سـياق الموجـود العينـي الـذي ينظر إلى النص وعلاقة جزئياته متحدة بعضها مع بعض.

---

[1]– إدريس بلمليح، الرؤية البيانية عند الجاحظ، (بقية المعلومات غير موجودة)، ص: 251–252.

ومن الأمور التي تسرع فيها رواد البنيوية إعلان انفكاك النص عن صاحبه والتأكيد على انقطاع صلة الرحم بين الأدب وواضعه، ورافق ذلك ما يسمى "بموت المؤلف"؛ حيث اتسمت مرحلة النقد البنيوي بالدعوة إلى موت الإنسان (المؤلف) وتركيز الاهتمام على البنية بوصفها الأساس الحامل للدلالة؛ واقتضت هذه الدعوة إلغاء التاريخ باعتباره محتكرا للمعنى؛ فضلا عن رؤية نسبية للعقل تنكر أن يكون لهذا الأخير أي دور في تطور المعارف منذ عصر النهضة الأوربية حتى العصر الحاضر.

إن الثورة على الإنسان "المؤلف" هي ثورة على جمود المعنى؛ لأن حضور المؤلف أثناء عملية تحليل النص تقود إلى إيقاف المعنى، واللجوء إلى خارجيات النص، لتفسيره وتأويل شكله بالرجوع إلى كاتبه. لذلك عمد بعض النقاد ومنهم "بارت" الذي اشتهر بتلك المقولة إلى إفساح المجال لحركة الدلالة مع ثنائية (القارئ/ النص)، إن موت المؤلف سيقود إلى نتيجة مهمة هي: ميلاد القارئ، وأن المفهوم الجديد الذي سيحل محل المؤلف هو الكتابة التي تمتاز بكونها نسيجا من الاقتباسات المأخوذة من المراكز الثقافية اللامتناهية[1].

الخاتمة:

مما تقدم يمكن أن نستخلص النتائج التالية:

- ظهرت البنيوية أول الأمر كمنهج علمي تحليلي في حقل الألسنية، أتاحت للغة فرصة الدخول إلى الميدان العلمي التجريبي قبل أن تصبح منهجا عاما تستخدمه العلوم الإنسانية.
- أن الفكر البنيوي لا يقنع بإدراك الظواهر المعزولة بل يطمح إلى تحديد المكونات الأساسية للظواهر؛ ثم إلى اقتناص شبكة العلاقات والدلالات التي تنبع من تلك العلاقات، والبحث عن التحولات الجوهرية للبنية التي تنشأ عبر تجسيدات جديدة لا يمكن أن تفهم إلا عن طريق ربطها بالبنية الأساسية وإعادتها إليها.
- البنيوية تطلب معاينة متعمقة للنص؛ وهذا نابع من رؤية شمولية له بما هو فاعلية إنسانية؛ تتجاوز شروط الزمان والمكان والفرد واللغة، وتجسد علاقة جدلية بين الجزئي والكلي، والخاص والعام.
- التحليل البنيوي للأدب يعتبر النص بنية ذات دلالة، فينحصر موضوع دراسته في تحليل النص وحده مستبعدا عنصرين هامين أسهما كثيرا في أدبية الأدب هما: المبدع

[1]– البنيوية فلسفة موت الإنسان، مرجع سابق، ص: 50.

والظـرف الاجتمـاعي؛ وهـذا يعنـي أن البنيويـة تقـوم علـى مبـدأ المثوليـة الـذي يقتصـر علـى دراسة النص بمعزل عن أية مؤثرات كانت.

- وللبنيويـة مزالـق ومخـاطر فنيـة وأيديولوجيـة، لعـل أكثرهـا فداحـة المخـاطر الفكريـة، كمـا بـين ذلـك الـدكتور: شـكري عزيـز الماضـي بقولـه: "فهـي إذ تلغـي التطـور، وتهـتم بالنظـام، فإنهـا تنظـر نظـرة سـكونية للتـاريخ؛ إذ تـرى أن التـاريخ مسـير بمجموعـة مـن الأنظمـة التـي تعجز الإرادة الإنسانية عن إحداث أي خدش في تشكيلها أو مسارها".[1]

قائمة المصادر والمراجع:

1) ابن منظور، لسان العرب، م.9، دار صادر للطباعة والنشر، ط1، بيروت، (د ت).
2) إيميل بينيست، البنية في اللسانيات، (ترجمة حنون مبارك)، مجلة دراسات أدبية وإنسانية (ع. غ)، المغرب 1986.
3) إدريس بلمليح، الرؤية البيانية عند الجاحظ، (بقية المعلومات غير موجودة).
4) جان ابياجي، البنيوية، (ترجمة: عارف منيمنه وبشير أوبري)، منشورات اعويدات، ط4، بيروت، 1985.
5) روجي كارودي، البنيوية: فلسفة موت الإنسان، (د.ت)، (بقية المعلومات غير موجودة).
6) د. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت 1985.
7) د. شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، لبنان–بيروت 1986.
8) د. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط3، بغداد 1987.
9) عبد السلام لمسدي، قضية البنيوية: دراسة ونماذج، دار أمية، ط1، تونس، 1996.
10) لوسيانغولدمان، البنيوية التكوينية (ترجمة: محمد براده)، ط1، المغرب 1984.
11) محمد الحناش، البنيوية في اللسانيات، دار الرسالة الحديثة، ط1، المغرب 1980.
12) محمد محيي الدين عبد الحميد ومحمد عبد اللطيف السبكي، المختار من صحاح اللغة، مطبعة الاستقامة، ط5، القاهرة، 1934.

[1]– في نظرية الأدب، مرجع سابق، ص: 194.